السفير الاسرائيلي في لندن، شلومو ارغوف)، الّا ان ضخامة القوات المشاركة في ذلك العدوان، وكثافة النيران الموجّهة ضد المدنيين بدون تمييز، واتساع نطاق العمليات العسكرية، جواً وبحراً وبرّاً، سرعان ما كشفت حقيقة الاهداف الاسرائيلية من وراء عملية «سلامة الجليل». كانت اسرائيل، على ما يبدو، منزعجة للغاية من المكانة والاحترام الدوليين اللذين بدأت منظمة التحرير الفلسطينية تتمتّع بهما، خاصة بعد توصّلها، في صيف العام ١٩٨١، ومن خلال وساطة المبعوث الاميركي، فيليب حبيب، الى عقد اتفاق «هدنة» مع اسرائيل على الحدود اللبنانية. وحافظت م.ت.ف. على هذه الهدنة حتى ١٩٨٢/٦/٣، عندما أُجريت محاولة الاغتيال في لندن، والتي استغلتها اسرائيل ذريعة لعدوانها. على ان تلاحق التحقيقات في العاصمة البريطانية، من جهة، وتصريحات المسؤولين الاسرائيليين، من جهة ثانية، وضخامة القوات المهاجمة من جهة أخيرة، أشارت كلها الى ان:

١ ـ منظمة التحرير الفلسطينية لم تكن مسؤولة، اطلاقاً، عن محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي؛ بل ان ممثلها في لندن كان الهدف الثاني مباشرة للجماعة التي نفّذت محاولة الاغتيال.

٢ ـ كان الاجتياح الاسرائيلي للبنان مخططاً له ومعدّاً بصورة تامّة تقريباً منذ شهور عدة، وباطلاع اميركي، بانتظار اللحظة المناسبة للتنفيذ.

٣ ـ لم يكن هدف الاجتياح ابعاد القوات الفلسطينية الى مسافة ٤٠ كيلومتراً داخل الحدود اللبنانية، كما أعلنت اسرائيل في الساعات الاولى من الهجوم، بل توجيه ضربة قاضية للوجود الفلسطيني في لبنان، تنظيماً وقيادة ومقاتلين، تمهيداً لاخضاع المناطق المحتلة العام ١٩٦٧، اخضاعاً تاماً، والحاقها نهائياً باسرائيل.

وعلى الرغم من ان الكاتبة لم تشهد سوى ذلك اليوم الاول فقط من الغارات الاسرائيلية والاجتياح الذي تبعها (عادت مباشرة، وبالحاح من زوجها، لتكون الى جانب والدتها، في القاهرة، في ساعاتها الاخيرة)، الّا ان أنباء الاجتياح وما نقلته شاشات التلفزيون من صور العنف، والدمار، والتشريد، أثارت في ذاكرة الكاتبة احداث الماضي القريب في لبنان، الذي انتقلت اليه دينا عبدالحميد في العام ١٩٧١ لتكون الى جانب زوجها في صيدا. وفي هذا المجال، أشارت الكاتبة الى الحادثة التي شكّلت الشرارة الاولى في نار الحرب الاهلية اللبنانية، التي ما زالت حتى الآن تنشر الموت والدمار في ذلك البلد الحبيب. تلك هي حادثة اغتيال زعيم صيدا الوطني النائب معروف سعد، في شباط (فبراير) ١٩٧٥، بينما كان يسير في مقدّم تظاهرة سلمية في صيدا، دفاعاً عن حقوق صيّادي الاسماك ضد الاحتكارات المحلية (ص ٩ ـ ١٠). هذه الحادثة، التي تكاد تصبح نسياً منسياً من كثرة ما لحقها من مآسٍ واحداث جسام في لبنان، هي التعبير الحقيقي عن الجذور العميقة الاقتصادية، والاجتماعية، للحرب الاهلية الطاحنة التي يئن تحتها لبنان منذ العام ١٩٧٥، على الرغم من مختلف الادعاءات الطائفية، والاقليمية، والدولية، التي تتخذها تلك الحرب البشعة، وعلى الرغم من الاصرار الدؤوب من بعض الاطراف على القاء تبعتها على الوجود الفلسطيني في لبنان، وعلى الرغم من الثمن الباهظ الذي دفعه الفلسطينيون بسبب هذه الحرب.

من بين قصص البطولة الفلسطينية الرائعة التي تلاحقت في مواجهة الغزو الاسرائيلي، أشارت الكاتبة، بصورة خاصة، الى صمود المجموعة الصغيرة المدافعة عن قلعة الشقيف حتى استشهاد آخر مقاتل فيها، والصمود البطولي الذي أظهره المقاتلون والمدنيون في كل من صور وصيدا، وبالذات في مخيم عين الحلوة (ص ٢٢ ـ ٢٨). أمّا ضخامة القوات المهاجمة، فقد عبّر عنها احد ضباط هيئة المراقبة التابعة لقوات الامم المتحدة في الناقورة، على الحدود اللبنانية، بقوله: «لم أرَ في حياتي قوات مدرّعة وجنوداً بهذا العدد. كانوا يستخدمون مطرقة ليحطموا كأس نبيذ. بدا الوضع وكأن الاسرائيليين ينفّذون مناورات حربية. جاءوا بالدبابات وحاملات الجنود والمدفعية، بحيث كانت الواحدة تلاصق الاخرى على طول ثمانية أميال من الطريق الساحلي» (ص ٢٣). كما جاء على لسان احد كبار الضباط الاسرائيليين، والذي فقد احدى عينيه وساقه في تلك الحرب، انه كان قادراً، بالقوات التي حاصر بها مخيم عين الحلوة ان يجتاح أية عاصمة عربية (ص ٦٦).

ولكن ماذا عن الطرف الذي كان يتلقّى ضربات المطرقة الحربية الاسرائيلية؟ هنا استعانت الكاتبة بما استطاع زوجها من تسجيله عل شكل مذكرات سريعة خلال الفترة التي سبقت وقوعه في الأسر. قال، بعد